الشعر

- ١ -

(ماجاء في ذم الشعر)

قال : الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) وقال تعالى في حق النبي ﷺ وما هو بشاعر فيقال لو كان الشعر صفة مدح لما نفاه عنه وقال ﷺ لأن يمتلئ قلب الرجل قيحاً خير من ان يمتلئ شعراً . وكتب جعفر بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق فقيه الإمامية المتوفى سنة ٦٧٦ هـ الى والده بهذه الأبيات :

ألم تر اني كل يوم الى العلا ... اقدم رجلاً لا تزل بها النعل
وغير بعيد ان تراني مقدماً ... على الناس حتى قيل ليس له مثل
تطاوعني بكر المعالي وعونها ... وتنقاد لي حتى كأني لها بعل
ويشهد لي بالفضل كل مبرز ... ولا فاضل الا ولي فوقه فضل

قال فكتب الي فوق هذه الأبيات : لئن أحسنت في شعرك لقد اسأت في حق نفسك أما علمت ان الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة والشاعر ملعون وان اصاب ومنقوص ولو أتى بالشيء العجاب وكأني بك قد دهمك الشعر بفضيلته فجعلت تنفق منه ما تلفق بين جماعة لا يرون لك فضلاً غيره فسموك به وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر أما تسمع :

ولست أرضى ان يقال شاعر ... تباً لهـا من عدد الفضائل

قال فوقف عند ذلك خاطري حتى كأني لم أقرع له باباً ولم ارفع له حجاباً .

(ما جاء في مدح الشعر)

قال رسول الله ﷺ ان من الشعر لحكمة وقال ﷺ ان من البيان لسحراً لما اعجبه كلام عمرو بن الأهتم . وعنه ﷺ روّوا أولادكم لاذعة الشنفرى ولا تروهم مقاطعة آل غسان كما يأتي . وقد استنشد رسول الله ﷺ الشعر واستحسنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومدح قائله وأجاز عليه وعفا بسببه عمن يستحق العقاب وقبل وسيلة من توسل به وشفع من استشفع به والصحابة كان فيهم الشعراء ومن يستنشد الشعر ويجيز عليه والنبي ﷺ كان له منهم شعراء يهجون المشركين عبدة الأوثان وشعراؤهم ويجيبونهم ويحامون عن النبي ﷺ منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وغيرهم . وكذلك التابعون وتابعو التابعين والعلماء في كل عصر وجيل . وكفى ذلك دليلاً على فضيلة الشعر ومدحه .

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا وينجدوا . وقال الزبير بن بكار رووا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل . ومما قيل في مدح الشعر من الشعر قول القائل :

ومستخف بقدر الشعر قلت له لا ينفق العطر الا عند عطار

وقول الآخر :

وفي الناس من لا يحسب الشعر رتبة وما الناس لولا الشعر الا بهائم

وقال ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي المتوفى سنة ٥٢٤ :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل لمحرم

وقال أيضاً

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وقال الأمير ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني من أبيات

الشعر ديوان العرب ابداً وعنوان الأدب

أما ما جاء في ذم الشعر مما مر فمحمول على اتخاذه للهو واللعب والغناء به كما كانت تستعمله الملوك والأمراء وعلى استعماله فيما لا يرضي الله تعالى من مدح من يستحق الذم وذم من يستحق المدح والكذب فيه وثلب أعراض الناس بالهجاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او الاشتغال به عما اوجبه الله تعالى او غير ذلك وامتلاء القلب منه المشار اليه في الحديث الشريف يشير الى الإكثار منه والاشتغال به عن كل شيء والشعراء الذين ذمهم الله تعالى في الآية السابقة قد بين صفتهم فالمذمومون هم اصحاب تلك الصفة . واما آية وما هو بشاعر فهي رد على قريش الذين قالوا عنه ﷺ انه شاعر ولا دخل لها بذم الشعر ولا بمدحه ان لم تدل على عظم قدر الشعر عند العرب . وأما قول بعض العلماء المتقدم ان الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة وجعله ملعوناً ومنقوصاً فالمراد به اتخاذ الشعر حرفة يستجدى بهـا الناس ويمدح به من لا يستحق المدح او يمدح الشخص بما ليس فيه ويهجى به الناس وتثلب اعراضهم وتقذف به المحصنات ويتعاطى فيه الفحش ونحو ذلك ولهذا جعله صناعة من خلع العفة ووصمة يعاب بها الرجل طول عمره . وهذا العالم خاف على ابنه ان يتعاطى صناعة الشعر ويشتهر به ويشغله ذلك عما كان يتوسمه فيه من الارتقاء في درجات العلوم وكل هذا ليس ذماً للشعر من حيث انه شعر بل ذم لما يعرض بسبب تعاطيه واتخاذه صنعة كما كان يقع من الشعراء الذين يتخذونه للمدح والهجاء من الانشغال به عن الكمالات والاتسام به على النحو المذكور .

(مزية الشعر)

ان للشعر من بين انواع الكلام مزايا ليست لغيره قال أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد : الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامهـا حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبه فمنه يقـال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير ويقال لها : «المعلقات»

لامرئ القيس (قفـا نبك) لزهير (امن ام اوفى) لطرفة (لخولة اطلال) لعنترة (يا دار عبلة) لعمرو بن كلثوم (الا هبي) للبيد (عفت الديار) للحارث ابن حِلِّزَة (آذنتنا ببينها اسماء) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن كلف العرب بالشعر وسمو منزلته عندها انها كانت اذا ارادت انشاد قصيدة للمهلهل لا تنشدها حتى تغتسل اعظاماً لها واعجاباً بها .

فمن مزايا الشعر التي ليست لغيره من انواع الكلام انه لكونه مقفى وعلى اوزان خاصة يسهل حفظه ويروق انشاده فيطرب النفوس ويكون اشد تأثيراً فيها وكانت العرب تحدو به ابلها في سيرها فترى انه يؤثر فيها ويحملها على الإسراع

(ومنها) انه يوجب بحفظه وانشاده تهذيب الأخلاق والحث على محاسن الأفعال بما فيه من حكم وآداب وحماسة ونحو ذلك وقد يحمل على ضد ذلك بحسب ما يشتمل عليه ولذلك قال النبي ﷺ فيما روي عنه : رووا أولادكم لامية الشنفرى فانها تعلمهم مكارم الأخلاق ولا تروهم مقاطعة آل غسان — وذلك لما في لامية الشنفرى من الحث على اباء الضيم ومفارقة من لاخير فيه والصبر والجلد وتحمل المشاق لنيل المآرب الجليلة والتباعد عن منة الخلق وغير ذلك . وما في مقاطعة آل غسان من الحث على الانتقام وترك العفو والصفح فمن لامية الشنفرى المعروفة بلامية العرب قوله يحث على اباء الضيم ومفارقة من لا خير فيه وان كان حميماً قريباً وترك البلاد التي ينال المرء فيها الأذى الى غيرها .

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل
وفي الارض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغباً او راهباً وهو يعقل

يقول فيها

وان مدت الأيدي الى الزاد لم اكن بأعجلهم اذ أجشع القوم اعجل
وما ذاك الا بسطة عن تفضل عليهم وكان الأفضل المتفضل

ثم يقول في مفارقة من لا خير فيه :

واني كفاني فقد من ليس جازيا بنعمى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع [1] وابيض اصليت وصفراء عيطل [2]

(١) شجاع جريء . (٢) عيطل طويلة وهي القوس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يقول في تجنب ما لا يحمد من الصفات :

ولست بهياف[١] يعشي سوامه[٢] مجدعة[٣] سُقبانها[٤] وهي بُهل[٥]
ولا جبأ[٦] اكهى[٧] مُرِب[٨] لعرسه يطالعها في أمره كيف يفعل
ولا خرِق[٩] هيق[١٠] كان فؤاده يظل به المُكاء[١١] يعلو ويسفل
ولا خالف[١٢] دارية[١٣] متغزل يروح ويغدو داهناً يتكحل
ولست بعَلٍ[١٤] شره دون خيره الف[١٥] اذا ماهجته اهتاج اعزل[١٦]
ولست بمحيار الظلام اذا انتحت هدى الهوجل[١٧] العسيف[١٨] بهماء هوجل[١٩]

ثم وصف جلده وصبره على المتاعب واقدامه وقوته فقال :

اذا الأمعَز الصوان لاقى مناسمي تطاير منه قادح ومفلل
أديم مِطال الجوع حتى أميته واضرب عنه الذكر صفحاً فاذهل

ثم وصف اباءه عن تحمل منة الناس ولو كان في أشد الحاجة وقادراً على الكسب الدنيء فقال :

واستف ترب الأرض كيلا يرى له علي من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب يعاش به الا لدي وماكل
ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم الا ريثما اتحول
واطوي على الخمص[٢٠] الحوايا[٢١] كانطوت خيوطة مارِي[٢٢] تغار[٢٣] وتفتل
وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ازل[٢٤] تهاداه التنائف اطحَل[٢٥]

(١) الهياف السريع العطش . (٢) يرعاها ليلاً خوفاً من العطش . (٣) سيئة الغذاء .
(٤) أولادها . (٥) عليها سرارها وهو ما يشد به ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها .
(٦) جبان . (٧) جبان ضعيف . (٨) ملازم . (٩) دهش من الخوف .
(١٠) رقيق طويل . (١١) طائر . (١٢) لا خير فيه . (١٣) لا يفارق البيوت .
(١٤) الفل المسن الصغير الجثة . (١٥) عاجز . (١٦) لا سلاح معه .
(١٧) الطويل الذي فيه تسرع وحمق . (١٨) الآخذ على غير الطريق .
(١٩) فلاة لا اعلام بها . (٢٠) ضمور البطن . (٢١) الأمعاء .
(٢٢) اسم رجل أو كناه . (٢٣) يحكم فتلها . (٢٤) خفيف الوركين والمراد الذئب يتولد من الضبع والذئب . (٢٥) لونه بين الغبرة والبياض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم وصف سيره ليلاً وتبكيره فقال :

وتشرب اسآري[١] القطا الكدر[٢] بعدما سرت قَرَبًا[٣] احناؤها[٤] تتصلصل[٥]

ثم ذكر انه لايتغير في حالتي عدمه وغناه فقال :

واعدم احياناً واغنى وانما ينال الغنى ذو البعدة[٦] المتبذل[٧]

فلا جزع من خلة[٨] متكشف[٩] ولا مرح[١٠] تحت الغنى اتخيل[١١]

ثم وصف صبره على المتاعب والشدائد وشظف العيش فقال :

ويوم من الشعرى[١٢] يذوب لؤابه[١٣] افاعيه في رمضائه تتململ

نصبت له وجهي ولاكن[١٤] دونه ولاسترالا الأتحمي[١٥] المرعبل[١٦]

وضاف[١٧] اذا هبت له الريح طيرت لبائد عن اعطافه ماترجل[١٨]

بعيد بمس الدهن والفلي عهده لهعبس[١٩] عاف[٢٠] من الغسل محول[٢١]

* * *

ومن مقاطعة آل غسان قوله :

ماكل يوم ينال المرء ماطلبا ولا يسوغه المقدار ما رغبا

لاتقطعن ذنب الأفعى وتتركها ان كنت شهما فاتبع راسها الذنبا

هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا واضرموا النار فاجعلهم لها حطبا

* * *

(ومنها) انه يخلد لصاحبه ذكراً على ممر الدهور والأعوام ولولا الشعر لكان جماعة كثيرون من المشهورين في عداد المنسيين لايذكرهم ذاكر ولا يعرفهم أحد وانما عرفوا واشتهروا وخلد ذكرهم على الألسن وفي بطون الدفاتر بما اثر عنهم

(١) جمع سؤر وهو بقية الماء . (٢) الكدرة النبرة . (٣) القرب سير الليل لورود الغد .
(٤) جوانبها . (٥) تصوت . (٦) اسم للبعد . (٧) الذي لا يصون نفسه .
(٨) حاجة وفقر . (٩) مظهر حاجته وفقره الناس . (١٠) ذو مرح وبطر . (١١) أتكبر .
(١٢) نجم يطلع في شدة الحر . (١٣) مايرى متدلياً عند الهاجرة كالخيوط .
(١٤) لاستر . (١٥) نوع من البرود . (١٦) المتخرق . (١٧) شعر كثير طويل .
(١٨) ما تمرح . (١٩) وسخ . (٢٠) متروك . (٢١) أتى عليه حول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الشعر والا فمن الذي كان يعرف رعاة العرب ولصوصهم وصعاليكهم وكثيراً من أهل الجاهلية لولا الشعر وجماعة من أهل الفضل لم يعرفوا الا بشعرهم .

(ومنها) ان الشعر تقيد به الحوادث التاريخية وتحفظ وجملة منها قد عرفت من الأشعار أكثر مما عرفت من كتب التاريخ .

(ومنها) ان الشعر تعرف منه نفسية الشاعر ويكون ابلغ مترجم عنها وتفيد المؤرخ والمترجم مالا تفيده كتب التاريخ .

(ومنها) انه يصير في عنق من قيل فيه كطوق الحمامة مدحاً وذماً فتتناقله الألسن وتحفظه الناس حتى الصبيان والعواتق في خدورها ولذلك كان الملوك والأمراء يتقون السنة الشعراء ويحتملون منهم ما لا يحتملون من احد ويجزلون لهم العطايا والمواهب وفي ذلك يقول ابن الرومي :

لا تقبلن المدح ثم تعقه وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكام
وظلامة العادي عليهم تنقضي وعقابهم يبقى على الأيام

وكان الشعراء في تلك الأعصار اشبه بأهل الجرائد اليوم وكان بنو أمية يكرمون الفرزدق وكثير عزة ويجيزونهما ويحتملون منهما وكلاهما علوي الرأي طمعاً في المدح وخشية من القدح وكذلك بنو العباس كانوا يكرمون السيد الحميري ويجيزونه وهو علوي الرأي .

(ومنها) تهييجه النفوس وتأثيره فيها تأثيراً يتفاوت بحسب مزيته في الفصاحة والبلاغة ورقة اللفظ وحسن سبكه وانسجامه واشتماله على النكات المستملحة والخصائص البديعة والألفاظ المستعذبة والأمور المهيجة للنفس بحسب المقامات كالرقة في الغزل والتهويل في الحماسة ووصف الحرب وحسن الأسلوب في الاعتذار والشفاعة والحث على الحلم والصفح والتفجع في الرثاء وغير ذلك .

يتبع : محسن الأمين الحسيني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net